

الفصل السابع

حكاية الفراغ

ومشروع ايزنهاور

www.anwarilibrary.org

الأسطورة الجديدة

الأسطورة الجديدة هي حكاية الفراغ

وتقول صحف الغرب الغيورة أن فراغا نشأ في الشرق الأوسط نتيجة لانهيار نفوذ بريطانيا وفرنسا في المنطقة وأن على الولايات المتحدة أن تتقدم لملاء هذا الفراغ قبل أن يتقدم الاتحاد السوفيتي .

وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا !

وكان كفاح أربع سنوات ونصف سنة منذ أن قامت الثورة إلى اليوم بما فيه الغزو لم يقتنع الغرب إن مصر ترفض حكاية الفراغ وترفض نظرية مناطق النفوذ سواء للشرق أو للغرب أي سواء لروسيا أو لأمريكا .

ولماذا إذن كانت مصر تجثم نفسها كل هذا الكفاح ضد النفوذ البريطاني إذا كان سيأتي بدله نفوذ روسي أو نفوذ أمريكي ؟

أن منطق مناطق النفوذ وحكاية الفراغ مرفوضة من أساسها جملة وتفصيلا .

فالفراغ كان في وجود بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط لأنها جعلت من المنطقة بركانا يغلى بدسائسها التي كانت تبذرهما بين أمم المنطقة وشعوبها ولا تزال .

والفراغ كان في محاولة تضليل بريطانيا لشعوب المنطقة بايهاهما أن الخطر يأتي من الشمال ، في الوقت الذي كانت بريطانيا تغرس في قلب العرب خنجرا مسموما هو إسرائيل ، لم تلبث بريطانيا أن استخدمته للقضاء على هذه الشعوب علنا وعلى مرأى ومسمع من العالم كله .

والفراغ كان في جشع بريطانيا الجنون الذي دفعها إلى عمل يائس محموم قتل فيه النساء والأطفال وهدمت البيوت على العزل الأمنيين لا لشيء إلا لمحاولة فرض إرادتها واغتصاب أرض الغير وأرزاقه ومقدراته .

والفراغ كان في بقاء إنجلترا ونفوذ إنجلترا ، فبالرغم من أنه كان يربطها بدول هذه المنطقة اتفاقات صداقة ، فأنها لم تتورع عن أن تدفع إسرائيل لتعتدي على مصر ثم شنت هجوما

غادرا وضعيفا لتؤيد إسرائيل ضد ميثاق الأمم المتحدة ، وضد كل ما تعارف عليه البشر من قيم وخلق تمثلت فى حقوق الإنسان .

ولا أدرى آى فراغ هذا الذى تريد صحف الغرب من أمريكا أن تملأه؟

فالفراغ الوحيد فى هذه المنطقة كان هو إنجلترا ، وقد امتلأ والله الحمد بانهيائها وإفلاسها وخروجها من المعركة ضعيفة هزيلة .

والفراغ سيعود من جديد إلى هذه المنطقة إذا ما فكرت دولة كبرى مرة ثانية فى دخولها أيا كانت هذه الدولة .

فنحن نرحب بكل صداقة شريفة ، ولكننا مصممون على قطع كل يد تمتد لنا بالسيطرة أو فرض الإرادة .

نحن نرحب بالتجارة الشريفة ، ولكننا سنسحق ذلك اللون من التجارة الذى يجلب معه النفوذ والسياسة .

ولن نرضى بغير المساواة التامة .

فسياسة مناطق النفوذ تعنى بالنسبة لنا الحرب والكفاح وعبثا يتخيل أحد أنه يستطيع أن يقرر مصيرنا بغير أرائنا ، فلم تعد لندن وباريس تصلحان لتقرير مصير إنجلترا وفرنسا لأنهما فى حاجة إلى من يعينهما ويدافع عنهما .

أما نحن فسنقرر دائما مصيرنا شاءت لندن وباريس أم غضبتا .

ونحن أيضا لسنا فى حاجة إلى حماية أحد ولا إلى التسول من أحد .

أن طريقنا واضح كالشمس

نحن لن نكون ذيلا لأحد ، ولن ننحاز لأى من المعسكرين ولكننا سنصافح من يصافحنا ونعادي من يعاديننا .

وقد يكون من الخير أن نستجلى بعض النقاط بتوجيه بعض الأسئلة إلى الرئيس أيزنهاور قبل أن يصدر المرء حكمه على ما ورد فى رسالته إلى الكونجرس .

أن الأمر يتعلق بأرضنا نحن ، وأمتنا نحن ، وسلامنا نحن ، كما يتعلق بسلام العالم كله وأمنه ومستقبله .

يقول الرئيس أيزنهاور في البند الثالث من الأجراء الذي يقترحه ما يأتي :

" وسوف ينطوى في المقام الثالث على التفويض بأن تشمل هذه المساعدات وهذا التعاون استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة لضمان وحماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للمم التي تطلب مثل هذه المساعدة ضد العدوان المسلح المكشوف من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

وهذا الإجراء غامض ويثير بعض الأسئلة

فلنطبق الكلام على الواقع ونسأل

— إذا حدث وتعرضت مصر لعدوان جديد من جانب حلف الاطلنطي و إسرائيل ، تستخدم فيه

الأسلحة وعتاد ذلك الحلف وقواعد إسرائيل، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علما بأن العالم كله شهد مثل هذا العدوان في أكتوبر ونوفمبر سنة 1956 وإذا حدث مثلا

واعتمدت إسرائيل على الأردن بمساعدة الطائرات ، والطيارين الفرنسيين ، والدبابات ،

والمدافع الفرنسية ، وأسلحة وعتاد حلف الاطلنطي كما فعلت في أكتوبر سنة 1956 مع

مصر ، ووجد الأردن أن الأمر يدعو إلى الاستنجاد بدول العالم لمساعدته ضد مؤامرة

مشتركة ليحافظ على استقلاله وسيادته الكاملة ، ثم حدث أن خفت إلى نجدة الأردن دولة أو

دول من تلك التي وصفها الرئيس أيزنهاور بأنها تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علما بأن الرئيس أيزنهاور يقرر في بيانه بالنص :

" أن أمريكا تؤيد دون تحفظ السيادة الكاملة والاستقلال لكل دولة من دول الشرق الأوسط "

وعلما بأن الأردن سيكون في حالة دفاع شرعي وطلب النجدة الذي سيطلبه من العالم

سيكون من حكومته الشرعية ؟

هذا موقف

وهناك موقف آخر أخطر من هذا لأن مثله حدث فعلا

فأذا حدث مثلا أن وجهت بريطانيا إنذارا 'لى سورية قائلة أنه أما أن تسمح سورية لبريطانيا باحتلال خط أنابيب البترول ومحطات تكريره فى ظرف اثنتى عشر ساعة وأما أن تحتلها بريطانيا بالقوة ثم رفضت سورية هذا الإنذار وبدأت بريطانيا الهجوم على سورية مستخدمة أسلحة حلف الاطنطى وطياراته ودباباته وأساطيله ، وعندئذ وجدت سوريا أن من حقها الشرعى ، أن تستجد بدول العالم لصد هذا العدوان ، واستنجدت فعلا وكان أول من خف إلى نجدتها دولة أو دول من تلك التى وصفها الرئيس ايزنهاور بأنها تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علما بأن مثل هذا الأمر محتمل وقوعه بين لحظة وأخرى وحدث فعلا من قبل فى مصر .
وتحدث الرئيس ايزنهاور أيضا عن التصريح الثلاثى الذى صدر فى 25 مايو سنة 1950 والتعرض لهذا التصريح يجعلنا نسأل :

لماذا لم يطبق هذا التصريح الذى ينص على التدخل المسلح من جانب أمريكا إلى جانب الدولة المعتدى عليها فى أكتوبر سنة 1956 حين الاعتداء على مصر ؟
هل لأن العدوان كان على العرب مثلا ؟
أن الأمر ما زال يكتنفه الغموض
وقد يكون الإجابة على هذه الأسئلة جلاء لبض هذا الغموض .

مشروع ايزنهاور وهذا العدوان

أن النساء والأطفال ماتت في اليمن بفعل قنابل بريطانيا والمنازل دكت وهدمت في اليمن بفعل قنابل بريطانيا .

أن عدوانا وقع على اليمن تعرضت فيه حياة الآلاف من البشر للقتل والدمار .
واليمن في الشرق الأوسط

فما هو رأى أمريكا ، وما هو رأى المشروع الأمريكى الجديد ؟

أليس الشرق الأوسط اليوم يتعرض للعدوان ؟

أليس استقلال اليمن وسيادتها يتعرضان للعدوان ؟

أليس هجوم بريطانيا بالطائرات والدبابات على المدن اليمنية عدوانا على بلد من بلدان الشرق الأوسط ؟

وهكذا يتعرض المشروع الأمريكى من أول لحظة لأقسى امتحان .

ومن قبل قلنا أن الشرق الأوسط لا تهدده دولة من تلك التى وصفها البيان الأمريكى بأنها تخضع للشيوعية الدولية وإنما هددته ولا تزال تهدده دول من الكتلة الغربية هى بريطانيا وفرنسا وربيبة الغرب إسرائيل .

ولقد أغفل البيان الأمريكى تماما كل إشارة إلى العدوان الذى وقع على الشرق الأوسط فى مصر واعتبر العدوان لا يأتى إلا من دول تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، وطبيعى اذن أن يكون العدوان الذى وقع على اليمن من بريطانيا ، حسب منطوق البيان الأمريكى ، شئ لا قيمة له ولا يعتبر عدوانا على الشرق الأوسط برغم أرواح النساء والأطفال التى زهقت وبرغم الدمار الذى ينزل بمدن اليمن ومرافقه ومقدراته !

وهذا المنطق المقلوب يودى أيضا إلى منطق آخر أشد انقلابا حسب ذلك البيان .

فأن اليمن عليها إلا تستنجد بدول العالم لمساعدتها ضد عدوان بريطانيا خشية أن تستجيب دولة تخضع للشيوعية الدولية إلى نجدة اليمن فتعتبر اليمن فى نظر أمريكا دولة شيوعية ويصبح من المحتم حسب البيان الأمريكى هجوم أمريكا على اليمن !

وحسب البيان الأمريكى أيضا فان على كل دولة من دول الشرق الأوسط حين تتعرض لعدوان بريطانيا أو فرنسا أو إسرائيل أو الثلاث مجتمعة أن تترك نساءها وأطفالها يقتلون وبيوتها تهدم لأن ذلك ليس عدوانا فى نظر أمريكا وأما أمريكا تتحمس فقط عندما تهجم على الشرق الأوسط دولة من الدول التى تخضع للشيوعية الدولية .
ثم تأتى مسألة العدوان غير المباشر أيضا التى وردت فى البيان الأمريكى .
ويظهر أن أمريكا تريد أن ترث بريطانيا حتى فى طريقة الصياغة اللولبية للألفاظ لكى يمكن أن تحمل من المعانى والتخريجات ما يلائم كل الظروف .
فما هو العدوان غير المباشر ؟

وماذا يطلق على المؤامرات التى تحكيها بريطانيا اليوم لشعوب الأمة العربية ؟

وماذا يطلق على تمويل فرنسا لإسرائيل بالسلاح ؟

وماذا يطلق على تمويل بريطانيا للمؤامرة ضد سورية ؟

وماذا سيكون موقف الولايات المتحدة إذا عقدت فرنسا محالفة مع إسرائيل ؟

هل يكون على العرب أن يحمداوا الله على أن العدوان لم يأت من دولة تخضع للشيوعية الدولية وإنما أتى ويأتى كل يوم من دول الكتلة الغربية ؟
أن أمريكا لم تحدد موقفها من العدوان الذى يقع على اليمن التى هى دولة من دول الشرق الأوسط وتتمتع بكامل السيادة والاستقلال أننا لا نستطيع أن نفهم البيان الأمريكى إزاء هذا الموقف .

وإذا صدقنا ما ورد فى البيان الأمريكى فان العدوان البريطانى الفرنسى الأخير على مصر وعلى الشرق الأوسط يصبح عملا مشروعاً لا عدواناً مجرماً ، ويصبح مبدأ حل المشكلات الدولية بالعمل الفردى عن طريق استخدام القوة أيضا عملاً مشروعاً بعد أن استنكره العالم كله لأنه تطبيق لشريعة الغاب .

أن هناك حقائق ثابتة من العبث أن تتجاهلها أمريكا .

إحداها هي أن العدوان الوحيد الذي وقع في منطقة الشرق الأوسط حتى الآن جاء من جانب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل اثنتان منهما هما فرنسا وبريطانيا حليفتان تقليديتان لأمريكا فيما يسمى بالحلف الغربي ، بل هما شريكتان لأمريكا في قيادة ما يسمى بعالم الغرب ، أما الثالثة ، وهي إسرائيل ، ففي تلك الدولة التي سعى ترومان رئيس أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تولد ، ثم تولت أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تولد ، ثم تولت أمريكا أعاشتها حتى اليوم بالإعانات والهبات التي تزيد عن الستمائة مليون دولار سنويا هذا بخلاف السلاح والعتاد

ولا أظن أبدا ان أمريكا تجهل الحقيقة

فلماذا اذن تحاول أمريكا خلق عدوان وهي مما أسمته دولا تخضع للشيوعية الدولية ضد الشرق الأوسط في الوقت الذي لم يقع فيه على الشرق الأوسط الا عدوان واحد هو عدوان حلفاء أمريكا وشركائها فرنسا وبريطانيا والربيبة إسرائيل ؟ وكيف يستطيع المرء أن يوفق بين استنكار أمريكا بالأمس للعدوان الفرنسي البريطاني الإسرائيلي وبين موقفها مما تعلنه اليوم ، ويعنى انها تستعد لكي ترتكب في الغد عملا كالذي ارتكبه حلفاؤها بالأمس ؟

ان التفسير الوحيد لهذا التناقض لن يكون الا امرا واحدا ، هو أن أمريكا تريد ان تحتل نفس الوضع ونفس المكانة التي كانت لبريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ضد إرادة شعوب المنطقة وأهلها ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تكمل المعركة التي بدأتها فرنسا وبريطانيا ولم تستطعا أن تصمدا فيها معركة مناطق النفوذ وفرض إرادة الدول الكبرى على الدول الصغرى بالقوة وضد إرادة الشعوب

ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تقول لشعوب هذه المنطقة أنها أقوى من روسيا ، لاعن طريق استخدام القوة وحدها وانما أيضا عن طريق الرشوة والدولار ؟

لماذا تلجأ أمريكا إلى هذه التصرفات التي ستنتهي بها على مر الأيام إلى ما انتهت إليه بريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ؟

وأين الحديث عن هيئة الأمم المتحدة وتأييد أمريكا لها ونداء وأمريكا أثناء عدوان حلفائها على مصر بأن هذه الهيئة هي المرجع الوحيد لحل مشاكل العالم؟ إن معنى المشروع الأمريكي أن تنفرد أمريكا بتحديد معنى السلم والحرب ، وان تنفرد أمريكا بتحديد معنى العدوان المباشر على الشرق الأوسط مما أسمته دولاً تخضع للشيوعية الدولية ، في الشرق الأوسط مما أسمته دولاً تخضع للشيوعية الدولية ، في الوقت الذي لم يعتقد فيه على الشرق الأوسط عدواناً مباشراً إلا حلفاء أمريكا ، وفي الوقت الذي يصر فيه أيضاً حلفاء أمريكا على إثارة الفتن والتفرقة والدسائس في هذه المنطقة مما يقع تحت اسم العدوان غير المباشر

ولم يذكر لنا هذا المشروع شيئاً لا عن عدوان حلفائها المباشر ولا غير المباشر بل أكثر من ذلك يتجاهل كل شيء بالنسبة لأي عدوان يأتي في المستقبل من جانب هؤلاء الحلفاء ومعنى المشروع الأمريكي أيضاً أن تتناول دول هذه المنطقة عن سيادتها لقاء الدولار ومعنى المشروع الأمريكي أيضاً أن ما يسمى اعتداء هو ذلك الذي يأتي من دولة من دول الكتلة الشيوعية التي لا ترض عنها أمريكا ، أما إذا جاء عدوان من دولة من دول الغرب على الشرق الأوسط كما حدث من بريطانيا وفرنسا فإنه لا يصح أن يسمى عدواناً وإنما يصبح عملاً عادياً تعود فيه أمريكا إلى الأمم المتحدة وإجراءاتها كما صرح بذلك دالاس في بعض تصريحاته

إن أمريكا ستفقد في لمح البصر كل ما كسبته في موقفها الأخير ، وقد كان المنتظر أن تنتهج أمريكا بعد هذا الموقف سياسة أمريكية عادلة فحاش هذا المشروع مؤذناً بسياسة أنكى من كل ما تؤمن به السياسة البريطانية الاستعمارية .

أبو جهل

وحسب مشروع ايزنهاور الجديد أن أمن الشرق الأوسط وسلامته يجب أن يضحى بهما من أجل أمن الولايات المتحدة فأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تحمي إسرائيل التي شنت الحرب فى 29 أكتوبر 1956 على مصر وجعلت من أرضها قاعدة لفرنسا وبريطانيا لكي يفرضا سيطرتهم الاستعمارية على هذه المنطقة بالقوة وضد أرادت شعوب هذه المنطقة .

ومعنى هذا المشروع الأمريكى يحمى العدوان من جديد . وأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تجعل من الرشوة فضيلة والرشوة فى الأرض وفى السماء رذيلة .

فأمريكا تعلم أن هذه المنطقة فى حاجة إلى مساعدات اقتصادية ، ولكنها تغفل عن عمد أن سبب فقر هذه المنطقة هم أولئك الذين يصرون على إفقارها ولو بإعلان الحرب وتدمير المدن وقتل الأبرياء باستعمال أسلحة أمريكا ، هم بريطانيا وفرنسا حلفاء أمريكا التى تريد بمشروعها الجديد أن تحمى عدوانهما الماضى والمستقبل أيضا .

ويجب أن تعلم أمريكا أن الشعوب ترفض هذا اللون من التفضل والاستعلاء فى إعطاء المساعدات .

وأمريكا تضحك على نفسها اذا ما اعتقدت أن قبول حاكم من الحكام لمساعدتها يعنى قبول الشعوب .

وفى كلام المستر دالاس يقول ردا على سؤال وجه إليه أن أمريكا لم تفكر فى إعطاء مساعدات لمصر وأن هذا يتوقف على مسلكها . أى أن واهب الأرزاق دالاس جل جلاله سوف يتكرم على مصر بالمساعدات إذا ما أدت واجبات العبادة والركوع لسياسته السنية .

أو بمعنى آخر على مصر أن تثبت أنها جديرة برضاء قدس الأقداس دالاس لكي يمنحها دولاراته المباركة .

يقول دالاس هذا وهو يعلم أن مصر أعلنت رسميا أنها لم تطلب ولن تطلب مساعدة من أمريكا .

ويقول دالاس هذا وهو يعلم أن لمصر خمسين مليوناً من الدولارات مالا حلالاً مصرياً جمده أمريكا لإرضاء لبريطانيا وفرنسا اللتين اعتدتا على مصر واللتين اعترفت دالاس أنهما كانتا تعدان خطط العدوان منذ وقت طويل قبل حدوثه وأنه علم بذلك .

ويقول دالاس هذا وأمريكا ترفض بيع القمح لمصر ، والقمح هو غذاء للشعب فى الوقت الذى يعلن فيه بن جوريون أن صفقة الطائرات الفرنسية التى اشترتها إسرائيل كانت بعلم أمريكا وتأييدها وبركاتها .

أى تخبط هذا ، وأى غرور هذا الذى يكمن وراء هذا المنطق وتلك التصرفات ؟ أن دولارات أمريكا كلها لا تكفى لشراء قطرة واحدة من سيادتنا ، والمستر دالاس واهم أشد الوهم إذا كان يعتقد أن الضغط الاقتصادى سيحقق له ما لم تحققه أسلحة حلف الاطلنطى على يد بريطانيا وفرنسا .

ففى العالم أصدقاء شرفاء يحترمون الاستقلال ويتعاملون بنظرية التعايش السلمى مع مصر ، وهم بحمد الله لا يتألهون عندما يتعاملون مع الشعوب الصغيرة . وهم أيضاً لا يحمون العدوان .

ولا يعترفون بسياسة مناطق النفوذ . فخير للمستر دالاس أن يفتح عينيه على الحقائق بدلا من أن يعيش فى الأوهام التى عاشت فيها بريطانيا وفرنسا ولم تصيبا إلا الخيبة والخسران .

وكلما أضاف المستر دالاس تفسيرا جديدا إلى مشروع ايزنهاور ، أزداد ذلك المشروع غموضا وتعقيدا وغمراة .

والمستر دالاس يفسر الحرب بعد الجهد بالحرب . أن آخر هذه التفسيرات هو ذلك الذى صدر عن المستر دالاس من أن ذلك المشروع لا يعتبر وجود متطوعين من دولة من دول الكتلة الشيوعية فى أى بلد من بلدان الشرق الأوسط عدوانا طالما أن السلطة الشرعية فى ذلك البلد هى التى استدعتهم للدفاع عن استقلال ذلك البلد .

وغلى هنا كان يمكن أن يكون الكلام معقول ، ولكن المستر دالاس صاحب الألفاز والأحاجى يتم تفسيره فيقول :

– على أن يكون ذلك مشروطا بأن يكون البلد الذى طلب المتطوعين قد وقع عليه عدوان فعلا ، وأن لا يتعدى هؤلاء المتطوعون حدود البلد الذى يساعده فى الدفاع عن استقلاله وإلا كان ذلك عدوانا يستوجب تدخل أمريكا المسلح .

ومعنى هذا الكلام وتلك الشروط هو ما يأتى :

1 – أن أمريكا نصبت من نفسها وليا ووصيا على دول الشرق الأوسط وتريد أن تفرض على هذه الدول الطريقة التى تعيش بها وتأكل بها ، لدرجة أنها حتى فى حالة وقوع عدوان على بلد من المنطقة فأنها ترشده كيف يطلب المعونة وبأية شروط وإلا فأنها ستهاجمه هى الأخرى .

2 – وحسب الشرط الأول ليس لبد عربى اذا جاء إنذار فاجر قدر كالإنذار البريطانى الفرنسى أن يطلب معونة العالم بل على هذا البلد أن ينتظر حتى يقع العدوان فعلا وتغير عليه طائرات حلف الأطلنطى وتضرب مدنه أساطيل حلف الاطلنطى وتموت نساؤه وأطفاله تحت أنقاض البيوت ، ثم يكون له بعد ذلك أن يطلب المعونة المشروطة .

3 – وحسب الشرط الثانى فأن هذا البلد العربى المسكين الذى يكون قد تعرض لكل هذا الخراب والدمار بفعل أساطيل وجيوش وطائرات حلف الاطلنطى ، وطلب المعونة وسارعت إلى معونته بالمتطوعين دولة من الذين يطلق عليهم أنهم يخضعون للشيوعية الدولية ، فأن على هذا البلد بعد كل النكبات أن لا يسمح للمتطوعين بأن يدفعوا معه العدوان فى قواعده ، بل داخل البلد المعتدى عليه فقط ، وبمعنى آخر إذا ما اتخذت بريطانيا وفرنسا إسرائيل قاعدة للعدوان على مصر كما حدث فى أكتوبر سنة 1956 ، وسارع المتطوعون من الدول الصديقة إلى مصر لنجدها ضد بريطانيا وفرنسا ، فأن على مصر أن لا تتعرض للقواعد البريطانية الفرنسية التى ترسل إلى مصر بالطائرات والأساطيل وإلا فأن أمريكا تتدخل بالسلاح مع المعتدين وضد مصر المعتدى عليها !

والأعجب من هذا كله هو أن المستر دالاس بهذا التفسير قد أعترف وأقر بمشروعية العدوان على دول الشرق الأوسط فأذا كان هذا العدوان من الكتلة الغربية فإن المستر دالاس لا يتعرض له وإنما يضع للدولة المعتدى عليها شروطا تطلب النجدة بمقتضاها وإلا هاجمتها أمريكا بالإضافة إلى الذين يهاجمونها من حلفاء الغرب !
أليس هذا التفسير سخريه أية سخريه !

أن الشرق الأوسط يعرف أعداءه يا مستر دالاس وهم ليس من الكتلة الشرقية بل هم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حلفاء وشركاء أمريكا في الغرب والاطنطى ، وفرسان مؤامرة أكتوبر سنة 1956.

أن الذين يبيعون للشعب المصرى القمح ليس هم أعداءه يا مستر دالاس .
والذين يقفون إلى جانب العرب وقت المحنة ليسوا هم أعداء العرب يا مستر دالاس .
والذين لا يجمدون أموال الشعب المصرى بل يبيعونه السلاح لكى يدافعوا عن أوطانهم ليسوا هم أعداء العرب ولا أعداء مصر يا مستر دالاس .
ولن تخيف مظاهرات القوة أحدا يا مستر دالاس .
ولن تفيد الحرب الباردة مع أحرار صمموا على الحرية يا مستر دالاس .

وقد نشرت جريدة " هيرالد تريبيون " تعليقا للمعلق السياسى "دافيد لورنس " روى فيه حديث المستر دالاس فى الجلسة السرية أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس .
و حين تحدث المستر دالاس عن أمريكا وشئون أمريكا فى جلسة سرية أو علنية ، فإن هذا أمر يخصه ويخص بلاده .

أما إذا تحدث المستر دالاس عن مصر فى جلسة سرية أو علنية ، أمام أية هيئة فى بلاده أو خارجها ، فإن هذا أمر يخصنا نحن فى مصر ويحق لنا أن نصح للمستر دالاس معلوماته التى تحتاج دائما إلى التصحيح .
لقد تحدث المستر دالاس أول ما تحدث فى الجلسة السرية عن مشروع تقديم المساعدات المالية لمصر ، فقال :

" ليس هناك أى مشروع لتقديم مساعدات مالية لمصر فى الوقت الحاضر ، ولكننا نأمل أن تتحرر مصر من النفوذ الشيوعى خلال عام أو عامين ، ومن ثم تصبح مصر أهلا للمساعدة ! "

وأول ما نرد به على موزع الأرزاق دالاس ، هو سؤال بسيط :

— لماذا أختار لكلامه جلسة سرية بدلا من جلسة علنية ؟

كنت أريد من المستر دالاس أن يكون شجاعا فيدلى بآرائه فى العن بدلا من أن يستتر وراء الجدران .

فمصر لم تطلب مساعدة من أمريكا ، ولن تطلب مساعدة من أمريكا ، هذا كلام صدر فى بلاغ رسمى مصرى من قبل أن يدلى المستر دالاس بآرائه خلف الجدران . فلماذا يصر المستر دالاس على التفكير فى حال مصر وأهليتها وعدم أهليتها للمساعدة ، إذا كان كل حجر فى مصر يرفض بل يستنكر مثل هذا التهجم على مصر بأسم المساعدات ؟

ثم ، ما هذا الجهل الذى لا يفتأ يردده المستر دالاس عن النفوذ الشيوعى فى مصر ؟ لقد كان الأجدر بالمستر دالاس أن يتكلم علنا لكى يرد عليه العالم كله معنا . الآن مصر اشترت بحر مالها سلاحا من الكتلة الشرقية من غير قيود بل عن طريق تجارة حرة شريفة لكى تدافع عن نفسها ضد عدوان ربيبة الغرب إسرائيل ، تصبح مصر خاضعة للنفوذ الشيوعى ويحرض عليها المستر دالاس قواته بعد أن فشلت قوات حلفائه ؟ أم أن مصر لكى لا تكون خاضعة للنفوذ الشيوعى وعى فى نظر الإله دالاس جل جلاله كان يجب عليها أن تتبع استقلالها وسيادتها لأمريكا وبريطانيا ، فتسلم لهما أرضها وتدخل أحلافهما وتسلم لإسرائيل صنيعتهما وتركع أمام عدوانها المسلح بأسلحتهما ؟

والشعب المصرى الذى يتحدث عنه المستر دالاس

أليس هذا الشعب هو الذى عاقبه المستر دالاس فى يوليو سنة 1956 بالانسحاب من

تمويل السد العالى الذى سيجلب له الرخاء ؟

أليس هذا الشعب الذى عاقبه المستر دالاس بتجميد أرصدته مجاملة لفرنسا وبريطانيا
المعتديتين المجرمتين ولا زال يجاملهما على حسابه حتى اليوم ؟
أليس هذا الشعب هو الذى عاقبه المستر دالاس بتجويعه فرفض أن يبيع له القمح
أخيرا ؟

مالك وللشعب المصرى يا مستر دالاس ؟
ولماذا يخيفك جمال عبد الناصر فتفقد وعيك وصوابك ؟
أننى مشفق عليك يا مستر دالاس من مصير أبى عمك الراحل ايدن .
ولقد كانت لايدن على الأقل جرأة فى وقاحة
أما أنت فأنتك تختفى وراء الجدران وأنت تتحدى الرجال .

الفراغ . . وحكايتان

" والفراغ " تعبير استعماري كرهه تلجأ إليه بعض الدول لكي تخفى نواياها في السيطرة وفرض الإرادة .

ولقد التقيت بهذا التعبير مرتين ، المرة الأولى حين كنت أتصفح محاضر جلسات المفاوضات المتعددة التي عقدت بين مصر وبريطانيا في مختلف العهود . كانت بريطانيا تحتج دائما بكلمة الفراغ لكي تظل قواتها تحتل مصر ، ولو سلمنا نحن بهذه النظرية لظلت جنود بريطانيا إلى يوم القيامة تحتل أرض مصر .

وكان تحليل بريطانيا لهذه الكلمة وقتها هو أن جلاء الجيوش البريطانية عن أرض مصر يستلزم أن يكون لدى مصر جيوش تماثلها قوة وعتاد لكي تأخذ مكان الجيش البريطانى وإلا حدث "فراغ" بعد الجلاء .

وفى نفس الوقت الذى يقولون فيه ذلك يمنعون عن جيش مصر السلاح بمختلف الحجج لكي يظل ضعيفا وبذلك تكمل الحلقة المفرغة ، أى لا جلاء الا بعد أن يتقوى الجيش المصرى وهم لن يسمحوا بتقويته أبدا لأن التسليح فى يدهم فتظل الجنود البريطانية إلى الأبد تحتل أرض مصر !

أما المرة الثانية التى التقيت فيها بهذا التعبير فكانت يوم 26 يوليو سنة 1952 .

وفى هذه المرة سمعت نفس الكلمة لمعنى آخر ولكنه معنى استعماري خبيث .

فأنه بعد أن عرفت الإسكندرية فى حوالى الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم أن فاروق قد أمضى وثيقة التنازل عن العرش ، بدأت وفود المهنيين تتقاطر على القيادة العامة فى مصطفى باشا .

وفوجئنا بالسفير البريطانى بالنيابة يطلب الزيارة ، ثم جاء هو والملحق العسكرى البريطانى ، وما أن جلس حتى أخرج من جيبه ورقة أخذ يقرأ محتوياتها علينا .

بدأت هذه الورقة بالتهنئة طبعاً ثم تلا ذلك قراءة بعض النصائح التي توجب الصداقة بين البلدين على بريطانيا أن تقدمها لمصر في هذه الظروف كنص تعبير السفير البريطاني بالنيابة !

وكانت هذه النصائح عبارة عن الآتى :

- 1 - أن يفرض حظر التجول فى الإسكندرية خوفا على حياة الأجانب .
- 2 - أن يشكل مجلس وصاية على العرش حتى لا يكون هناك "فراغ" .
- 3 - أن يحترم حق أسرة محمد على فى ولاية العرش .

اذكر أننا ظللنا فى ذلك اليوم نضيق الخناق على السفير البريطانى بالنيابة بعد أن رفضنا هذه الطلبات جملة وتفصيلا لأنها من الأمور الداخلية لمصر حتى اضطر السفير البريطانى بالنيابة أن يعتذر ويعلم أن الحكومة البريطانية لم تكلفه بهذه الرسالة على الإطلاق وأن ما دفعه إلى تقديم هذه النصيحة هو الصداقة فقط ، وأخيرا طلب منا أن ننسى هذا الموضوع كلية وانسحب مشيعا بالاحتقار .

أعود إلى تعبير " الفراغ " فإنه فى البند الثانى من نصائح بريطانيا يومها كانت نصيحة تشكيل مجلس وصاية لكى لا يحدث " فراغ " .

ولم يتضح يومها هدف بريطانيا الحقيقى من هذا الطلب وقلنا أنهم يخشون من إقامة الجمهورية فى مصر .

إلا أنه حدث بعد ذلك بشهر وبعد أن وصل السفير البريطانى من أجازته أن أفصح عن نية بريطانيا .

لقد كانت بريطانيا تريد تنصيب الأمير السابق محمد على ابن توفيق الخائن وعميل الإنجليز رئيسا لمجلس الوصاية أو وصيا وحده على العرش .

ومعنى هذا أن يكون رأس الدولة تحت سيطرتهم وعميالا من عملائهم .

وهذا لون آخر من ألوان استعمال كلمة " الفراغ " !

واليوم أخشى أن تقع أمريكا فى نفس أخطاء بريطانيا التى نسفتها وقذفت بها إلى

أسفل سافلين .

فيجب أن تعرف أمريكا وتحدد معنى الفراغ بدلا من أن تستعير تعارف بريطانيا لهذه الكلمة .

فالفراغ الوحيد الذى كان فى الشرق الأوسط هو الدس والمؤامرات التى كانت تحكيها بريطانيا للإيقاع بين شعوبه وبين أبناء البلد الواحد .

والفراغ الوحيد الذى كان فى الأردن مثلا هو جلوب والمعاهدة وقد ذهبنا ، وأمتلى الفراغ بأبناء الأردن وبالأسلحة العربية غير المقيدة بشروط .

والفراغ الوحيد الذى كان فى مصر هو الاتفاقية المصرية البريطانية التى جلبت على مدننا القنابل البريطانية وقتلت نساءنا وأطفالنا باسم الصداقة وقد ذهبنا هذه الاتفاقية إلى الجحيم وأسد الفراغ إلى الأبد .

والفراغ الوحيد الذى كان فى سورية هو المؤامرة التى تصنعها بريطانيا وعملاؤها لتمزيق الوطن السورى وتوزيعه على إسرائيل وتركيا ، وقد قضت سورية على هذه المؤامرة فى مهدها وهى على أتم استعداد للقضاء على الجديد منها .
لقد ظلت بريطانيا تتوسل بنظرية الفراغ حتى دمرت مصالحها ومركزها نهائيا فى الشرق الأوسط .

وبريطانيا اليوم تحبك المؤامرات فى محاولة يائسة لكى تستعيد سمعتها ومركزها ولكنها على العكس من ذلك تتردى فى الفشل والفضيحة والعار كل يوم . . .
وليس عندنا فراغ فى الشرق الأوسط بعد أن أسد بدفن النفوذ البريطانى المتآمر إلى الأبد .

والذى عندنا اليوم فى هذه المنطقة هى أردادتنا وتصميمنا على التحرر والمحافظة على سيادتنا كاملة .

لدينا اليوم صداقة فقط ، من يريدنا يجب أن يكون شريفا ومن يحاول التلاعب بها فلينتظر مصير بريطانيا وبئس المصير .